

تمظهرات الذات الأنثوية في الشعر النسوي الجزائري المعاصر، شعر عائشة جلاب
أنموذجا

Feminist self-manifestations in contemporary
Algerian feminist poetry Aisha Djalleb poetry as a model

* ط.د. عبيدات الحبيب¹ د. سامي الوافي²

Abidat elhabib¹, sami louafi²

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري: الواقع والمأمول

University of Oum El Bouaghi- Algeria

abidatelhabib@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/09/24

تاريخ الإرسال: 2020/04/15

ملخص البحث

نسعى من خلال هذا المقال إلى إبراز تمظهر الذات الأنثوية في الشعر النسوي الجزائري المعاصر؛ كونه موضوع يشكل جوهر ومنبع الأنثى التي عانت الحرمان والتهميش داخل المجتمع، ولعل تجربة الشاعرة "عائشة جلاب" من أبرز تجارب الشاعرات التي شكلت ثورة على واقع اجتماعي سلب ذاتها، وقيد حريتها، فتورتها ماهي إلا محاولة منها لاسترجاع ذاتها المفقودة وتجعل من قيمتها الأنثوية معادلاً إبداعياً يوازي قيمة الآخر بكل تمرد، وكانت وسيلتها الوحيدة في هذا هي الولوج إلى عالم الكتابة التي أعطت لها مساحة لتثبت ذاتها وتبوح بأسرارها

الكلمات المفتاحية: تمظهر الذات؛ الأنثى؛ الشعر الجزائري؛ عائشة جلاب

Abstract :

With this article, we would like to highlight the female self-esteem in contemporary algerian women's poetry, which is the essence and source of the woman who has suffered deprivation and marginalization within society. Perhaps the experience of the poet "Aisha Djalleb" is one of the most remarkable experiences of the poets that has revolutionized a social reality that has robbed itself and restricted its freedom, her revolution is merely an attempt to recover her lost self and to make her feminine value a creative equivalent of

* عبيدات الحبيب . abidatelhabib@gmail.com

the value of the other in every rebellion, and her only way in this was to enter the world of writing, which gave her space to prove herself and reveal her secrets.

Keywords: self-esteem, female, algerian poetry, Aisha Djalleb.



– مقدمة:

خلقت مسألة الذات أزمة داخل المجتمع والثقافة باعتبارها مسألة وجود وحضور خاصة إذا تعلق الأمر بالأنثى، التي ظلت لقرون متتالية رهينة الأنماط الثقافية السائدة، كما وُضعت في قالب الجسد باعتبارها جسدا لا كائنا واعيا مثقفا، ومن هنا كانت الأنثى ذلك الكائن الثقافي المَهْمَش والمستلب الذي يستمد شرعيته من الهيمنة الذكورية التي كان لزاما عليها أن تخوض غمار البحث عن ذاتها وإثبات هويتها، فاختارت الكلمة والتعبير المكتوب شعرا ونشرا أداة من أدوات الكفاح؛ لإبراز ذاتها وإثبات هويتها، والمحافظة عليها، هذا ما دفع بالشاعرات الجزائريات إلى إثبات أحقية الحضور الإيجابي للأنثى في الشعر العربي عامة والجزائري خاصة التي بدأت تشق طريقها مبكرا نحو التجريب. وعلى هذا الأساس تكون إشكالية الدراسة الأساسية وفق هذا الطرح: فهل فعلا توصلت المرأة إلى إثبات ذاتها وتغيير النظرة السلبية التي كان ينظرها الآخر إليها؟ ومن هذا الإشكالية انبثقت عدة تساؤلات منها:

- كيف تظهر حضور الذات الأنثوية في الشعر الجزائري المعاصر؟
- كيف نظرت الشاعرة إلى ذاتها وكيف صورتها؟ وهل استطاعت إثباتها داخل النص الشعري؟
- هل تعبر الشاعرة عن ذاتها أصالة وصراحة - من حيث هي أنثى - في شعرها؟

- ما هي المضامين التي شغلت بها ذاتها الأنثوية؟
- وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، والوصول إلى مسارات الدراسة وإلى الغاية المنشودة تم دراسة تجربة واحدة؛ وهي من الشاعرات الجزائريات اللواتي عبّرن عن واقع المرأة ولا مأسن

جوهر قضيتهم الإنسانية، بتركيزهن على الذات، وإبرازهن انشغالاتها وخصوصياتها في دواوينهن بكثافة وتنوع، الشاعرة المبدعة "عائشة جلاب" كنموذج للدراسة والتحليل. توخيا للدقة والمنهجية، فإنه يتوجب علينا في البداية أن نحدد المصطلحات؛ وذلك من خلال الوقوف عند مفهوم الذات في الشعر، ومفهوم الشعر التّسوي.

1 - مفهوم الذات

1-1- المفهوم اللغوي للذات:

يحملنا مفهوم الذات على أوجه متعددة ومتباينة؛ فالدراسات التي تناولته كثيرة جداً يصعب الإلمام بها، فهي في حالة تدفق دائم، وفي حالة سيورة دائمة لا يمكن حصرها في تعريف أحادي لقد بقي هذا المصطلح قضية بحث شغلت شأن الأدباء، والعلماء، والفلاسفة، والأدباء على مرّ الأزمان، حيث تباينت النظريات حول هذه الكلمة فهي تحمل معاني كثيرة، ومتنوعة في مجالات مختلفة سواء في القرآن الكريم، أو المعاجم، أو في الفلسفة، أو علم النفس أو الاجتماع... وردت كلمة الذات في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ آلِيمِينَ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ (الكهف: 17) جاءت هنا بمعنى الجهة، كما وردت في قوله أيضاً: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 17) أي أن الله عزّ وجلّ عليم بأسرار النفوس، وبكل ما يختلج في الذات من نوايا، وهنا جاءت بمعنى "بذات الصدور".

كما وردت في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 1)، وهنا جاءت بمعنى "الذات الخارجية"، أي أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتوادد، والتحاب، والتسامح والتواصل.

وبالعودة إلى معجم الوسيط نجد أن الذات هي "النفس والشخص ويقال في الأدب نقد ذاتي يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته، وهو خلاف الموضوعي" 1، فهي تدل على الإنسان وما يختلجه من ردود شخصية، وانفعالات دون وجود شريك في نفسه. وهنا يأخذ دلالة باطن النفس وأغوارها. كما ورد معنى كلمة الذات في معجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة: "ما يقوم بنفسه ويطلق على باطن الشيء وحقيقته، ويقابله في العرض، ويطلق أيضاً على الماهية بمعنى ما

به شيء هو هو، ويقابله الوجود أي نفسه²، أما في لسان العرب فقد عُرفت الذات كالاتي: " قال الليث: يقال قلت ذات يده، قال: وذات هنا اسم لما ملكت يدها كأنما تقع في الأموال، وكذلك عرفه من ذات كأنه يعني سريره المضمة"³، وذكر معنى الذات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية على أن " الذات هو ما يصلح أن يُعلم أو يُخبر عنه منقول عن مؤنث (ذو) بمعنى الصّاحب"⁴، هذا الذي يمكن الاخبار عنه؛ يمكن القول ما سبق من التعريفات أنه لا يوجد مفهوم شامل ومحدد لمصطلح الذات، فالملاحظ أن كلمة الذات لغويا مرادفة لكلمة النفس والشخص، وتطلق على الجسم وغيره فهي أعمّ من الشخص، كما انها تطلق على سريرة الإنسان وضميره.

1-2 المفهوم الاصطلاحي للذات:

اتفق الباحثون على صعوبة تحديد معنى للذات، لأن البحث فيه بحث دقيق ومتشعب، بين علوم انسانية كثيرة، لذلك يصعب ضبط مفهوم للذات، فهو يتخذ من العلوم الانسانية مفهوما مختلفا ورؤية جديدة. فقد ورد في معجم المصطلحات أن "صورة الذات في الأدب تجري غالبا من خلال المتخيل، فهناك تراءى الذات معبرة مرات، أو مشتتة تحتاج إلى إعادة تشكيل وتهذيب، أو ممتدة في الماضي وملتصقة بأحداث وصور ومشاعر وذكرى، أو مثقلة بروح النعمة وأجواء الموت والاحلام المطعونة"⁵، ويشير مفهوم الذات كما يستخدمه الادباء المتخصصون عامة إلى: "مجموعة من الشعور والعمليات التأملية التي يستدل عنها بواسطة سلوك ملحوظ أو ظاهرة"⁶، يكون مفهوم الذات عن طريق هذا التعريف بمثابة تقييم الشخص لنفسه ككل، حتى يبلغ الذروة حيث تصبح قوة موجهة لسلوكه، في حين يرى "حسن شحاتة" أن الذات، " مدركات وقيم تنشأ من تفاعل الفرد مع البيئة، والذات تحافظ على سلوك المسترشد، والذات في حالة نمو و تغير نتيجة التفاعل مع المجال الظاهري"⁷ تجدر الإشارة إلى أنّ تحديد الذات لا ينفصل عن تمثيل الآخر فكلاهما يتحدد في وجود الآخر إذ أن لا معنى للذات سوى أنها المقابل لـ " الآخر"، أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه "الهوية"، فالهوية هي التي تُظهر ما يجعل الشيء متماهياً مع غيره ومتشابهاً معه، أي أن الذات هي النفس البشرية وهي مركز الشخصية في نفس الفرد والإنسان. يرى الكاتب إبراهيم محمد الشتوي: " أن الذات التي ينبغي النص تحقيقها هي ذات جماعية ثقافية

(...) جماعة بصيغة المفرد⁸، ترمي إليه الذات في النص هو هدف ثقافي جماعي مصرح بضمير المفرد.

ويعتبر ظهور الذات في الشعر أنها "ذات رائية تتعهد العلاقة القائمة بين الكلام ومراجعته بالتجديد، وتعطي الكلام الذي أبلاه استعمال دلالات لم يوضع لها، فتحمل القارئ على رؤية جديدة للكون"⁹؛ فالذات في الشعر هي نفسها الشاعرة أو الرائية حيث أنها تقوم بتحديد معاني ودلالات ورموز الكلام لكي تخل رؤية جديدة للكون في نظر القارئ.

2 - مفهوم الشعر النسوي :

يعتبر الشعر النسوي من التصنيفات التي ظهرت حديثا في سياق النضال التحرري الذي خاضته المرأة، من أجل الوصول إلى مستوى أرقى تنعم فيه الذات الشاعرة بحريتها وانطلاقها، وإعلان رفضها، وثورتها، ورغبتها في التخلص من قيود سلطة وسيطرة الذكورة، في ظل الأوضاع التي ناضلت فيها المرأة بقوة جعلها تطرق الميادين التي احتكرها الرجل ومن بينها الكتابة، فتوظيفها لها و"ممارستها للخطاب المكتوب بعد عمر للحكي، والاقتصار على متعة الحكي وحدها، يعني أننا أمام نقلة نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى، إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها - كما فعل على مدى قرون متوالية - ولكن المرأة صارت تتكلم، وتفصح، وتشهر إفصاحها بواسطة القلم، هذا القلم الذي ظل مذكرا، وظل أداة ذكورية"¹⁰، ومادامت المرأة قد أمسكت اليراع فقد صار لها شعر مثلما للرجل شعر، عبرت من خلاله عن همومها الذاتية في أعماها الشعرية، كما اهتمت بقضايا أمتها، فحفلت دواوين الشعر النسوي بروح التمرد والرفض، وبالرغبة في كسر القيود، كبداية لرحلة الحداثة، احتلت الكتابة النسوية مكانة متميزة ومتفردة ضمن المشهد الإبداعي الجزائري المعاصر، ورغم المثبطات والموانع ظهرت في الساحة الأدبية في العقدين الأخيرين بالذات أسماء نسوية ساطعة في مجال الشعر، لامست بكتاباتها الإبداعية الزاكن وتطلعت نحو أفق التخييل.

3 - تمظهرات الذات الأنثوية في شعر "عائشة جلاب" :

لم يكن الشعر النسوي الجزائري بمنأى عن التغييرات التي حدثت على مستوى العالم في الثقافة والفكر والسياسة والوعي، فكان لا بد للشعر أن يشعر بروح التغيير، وكان أيضا لزاما على الذات الشاعرة أن تبتكر وعيا شعريا جديدا ومتميزا يتماشى وركب التقدم والتغيير، تحاول من

خلال الكتابة كشف طريقها الممدود بجسر يقودها إلى بلوغ فن الابداع، فتجد فيه متنفسا لممارسة ما تكتمه داخل ذاتها، وتقف في وجه الهيمنة الذكورية هذا التحول الأنثوي جعلها تفصح عن معاناتها، وأتاح لها فرصة التعبير عن همومها الذاتية، والاجتماعية فالكتابة "قد ولدت لدى المرأة المبدعة، سلطة الخرق وتكسير المألوف من خلال تلك اللغة المصبوغة بالذاتية، كما كان فعل الكتابة عندها رفضا للسائد، وثورة عليه، وتجاوزا للمحظورات (الحريمية) التي حالت دون ممارستها لحقها الإبداعي، بحيث لم تعد ترى تحقيق فعل الذات عندها إلا من خلال اعتراف الرجل بها، أو من خلال الخروج من دائرة الخنوع والاستسلام إلى قضاء المواجهة والتحدي"¹¹، فالمرأة "حين تكتب نصها، تكون قد كتبت ذاتها، هذه الذات التي تتحول إلى علامة أنثوية جاذبة مستقطبة لجميع المحاور الأخرى، كما تتحول إلى مطلق سريع الانشطار، يصعب الإمساك به، يتوزع في خلايا النص معتمدا على الصيغ المحتملة التي تجعله في حالة تغير وتلون"¹²، فتأسس الكتابة لديها "على أشكال من المكاشفة والاعترافات الصامتة التي يتداخل فيها الواقعي والتمثيلي والحقيقي والحلمي"¹³، والمتأمل للمشهد الإبداعي يلمس صوت المرأة يعبر ويسرد حياة أنثى مضطهدة تواجه لتعلن وجودها، ومن الشاعرات اللواتي أعتقد أنهن أدركن الغاية من الكتابة وفق التشكيل الشعري التقليدي والحُر والنثري، الذي أوجد لهن الوعاء المناسب لصب تجربتهن المكتومة وبث شجونهن ونفثن همومهن، تشكيلا يراعي متطلبات الذات الراضية ويحقق رغبة التحرر والانعقاد، الشاعرة المبدعة "عائشة جلاب" في دواوينها "شذرات ذاتي"، "سفر في عيون بربرية"، "نون النشوة"، التي اخترناها كنماذج جسدت فيهم الشاعرة الذات الأنثوية، عن طريق الكتابة بصوت مسموع إضافة إلى تطرقها إلى مسألة إثبات الذات الأنثوية، محاولة الإفصاح عن ذات الأنثى؛ بل سعت على تأكيد ذلك خلال مستويات خطاب تشدك مباشرة إلى الصرخة المنبعثة من الكلمات.

وأول العتبات النصية التي تواجهنا في هذا ديوان "شذرات من ذاتي" عتبة العنوان، الذي تناولته الشاعرة بالعناية والاهتمام، تفننت في تقديمه للمتلقى حتى يكون مصدر الهامه، وحافزا للبحث في أغوار هذا العمل الفكري، فالعنوان "عبارة عن رسالة لغوية تعرف بمهوية النص، وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه وتغويه به"¹⁴، يحيل العنوان صدى عميقا لأوجاع الأنثى الجزائرية كما يشكل دلالات ومعاني شعرية لا يمكنها أن تتحقق إلا من خلال ذات عارفة بلغة الشعر؛

يتجه مسار الديوان نحو الذات جاعلا من العنوان صورة تعادلية لذلك فالعنوان "شذرات من ذاتي" الجامع لكلمتين: "شذرات"، "ذاتي"، تثير في ذهن المتلقي الكثير من التساؤلات لكونه لعبة دلالية غير قابلة للتحديد لما يحمله من كثافة ودلالات تأويلية ثرية ومفتوحة، وردت كلمات العنوان نكرة دالة على العموم وعدم التحديد تحمل دلالات متعددة، كلمات اسمية توحى بالثبات والاستقرار، تكشف لنا عن إثبات الذات المبدعة للمرأة في عالم أنكر عليها هذا الحق، وجعلها تابعة له، تبدو صورة الذات الشاعرة صورة سلطوية حيث إنها اعتمدت على ياء ضمير الملكية (ياء المتكلم) في كلمة (ذاتي) من خلال مجابهة الذات لسلطة أخرى/المجتمع، فتمنح ذاتها النسوية سلطة علوية تتشكل من خلالها الحياة التي تعيش فيها، فلو لاحظنا العنوان من ناحية التركيب لوجدناه يتركب من جملة اسمية مكونة من:

شذرات: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة للمبتدأ المحذوف تقديره "هي"

من: حرف جر

ذاتي : اسم مجرور بـ (من) وعلامة جره الكسرة وهو مضاف والياء ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة. ومنه فتقدير الجملة (هذه شذرات من ذاتي).

إن هذا العنوان يثير فينا نوعا من الدهشة، فهو يعكس بصدق رأي الشاعرة تجاه ذاتها وتجاه الرجل ينطوي على قضية الاعتراف، كما أن كلمة شذرات قوية الدلالة فقد لا يجد القارئ من حيلة أمام هذا العنوان إلا أن يتكأ على النص لتفسيره، يقول عبد الحق بلعابد: "العنوان معقد أحيانا أو مربك وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرده قدرتنا على تحليله وتأويله"¹⁵، ورد معناها في القاموس المحيط: الشَّذْر: قِطْعٌ من الذهب تُلْقَطُ من معدنه بلا إذابةٍ أو خَرْزٍ يفصلُ بها النَّظْمُ "¹⁶، كما ورد في لسان العرب لابن منظور ما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، والشَّذْرُ أيضاً صغار اللؤلؤ شبهها بالشذر لبياضها. والشذرة هي "اقتناص التفاصيل العننية وكتابتها بحبر سري، هي التماعة السهو أو صوت ما بعد منتصف ليل الروح... اختراق السبيل نحو الجغرافيا السرية للذات دون الوقوف أمام العتبة وانتظار لحسن الضيافة"¹⁷، انتقت الشاعرة عائشة عنوان ديوانها لتدل به على مطلبها الداخلي ورغبتها في البوح عن ذاتها، ومن خلال عناوين المجموعة الشعرية وجدنا أن اختيارها واعٍ ويعبر بدقة عن المعنى المنشود، في المتن وله علاقة قوية بالعنوان الرئيس، إذ تتراءى لنا بعض عناوين القصائد التي تسير في هذا الفلك منها :

أول البوح، كن معي، قومي، أنا حرة، آخر أوراق الهزيمة، الجميلة والوحش، إلى ولدي. فهذه العناوين تعمل على تكثيف نُصوصها، وتفسيرها ووضعها في مازق التأويل، فجاء الديوان بما يحمل عنوانه والعناوين الداخلية من أبعاد ودلالات سيمائية عبارة عن بوح ذاتي، وتفعيل للذات الشاعرة كأنتى رافضة لأحكام الذكورة ضمن سياقات اجتماعية طالما سعت إلى رفضها. كانت الموضوعات التي عكستها الذات في ديوان الشاعرة "عائشة جلاب" قد تنوعت تنوعاً يشير إلى غنى التيمة الأنوية بمحتوياتها، وهو ما عبّر عنه الديوان وبقية دواوينها، وبناءً على هذا التنوع اعتمدتُ مبدأ التصنيف لأبرز التيمات الذاتية في دواوينها المدروسة، وبناءً على ذلك أمكن تقسيم تلك الدواوين، كما برزت في الدواوين حسب مضامينها .

3-1- الذات الشاعرة الحزينة :

تفرض ظاهرة الحزن نفسها بقوة على شعر المرأة، فليس كل ما تعيشه المرأة في حياتها يسعدها لكن قد يفرض عليها أن تعيش أحزاناً وأوجاعاً، فأسباب وبواعث الحزن والمعاناة لدى الشاعرة متنوعة ومعظمها مرتبط بالزمن الماضي، كما أن الحزن لديها متداخل في كل المناسبات والخلجات التي تنتابها وفي تقلبات نفسها بين مختلف الآهات والأوجاع، تنقل لنا الشاعرة أحزانها بعد فراق الأحبة ولعل أهم بواعث الحزن الذي تغلغل في نفس الشاعرة فقدانها لأبيها، وهذا ما تجلّى في المقطع الثاني من قصيدة " إلى أبي " :

" صعب رثاؤك يا أبي

قد مرت السنوات والدمع المكابر يسكن

الأشواق... والأوراق... والأحداق

كم ذا توسلت القصيدة أن تجيء

فوضعت بعض الشمع والورد الجميل

وأمامها كوكب من الشاي الثقيل

الكل يأتي والقصيدة لا تجيء

تتعدّر... من دون إعطاء الدليل

فأللم أشيائي الصغرى، وأطفئ نور فانوسي الضئيل

ثم أخلد للعويل"¹⁸

تخاطب الشاعرة حزنها الذاتي وتساءل ذاتها الأنثوية عبر القصيدة، تصوّر فجيعتها الشديدة على والدها الذي رحل في يوم عيد ميلادها ويوم عيد الأضحى فاجتمعت هذه الأعياد لتصنع جرحا كبيرا اسمه اليتيم، حينها تتعمّد الغوص في دجى الليل وتطفئ فانوسها ثم تخلد إلى العويل لتعلن فقدانها للحوّ الأليف الحميمي مع والدها.

ترسم لنا الشاعرة عبر قصيدة أخرى لحظات الوداع لابنها وتبوح بصمتها؛ فيجيرها البكاء البريء تأكيد ذلك من خلال مستويات خطاب تشدك مباشرة إلى الحزن والألم المنبعث بين الكلمات، يمزق الأنا الشاعرة حيث يتزعم ضمير المتكلم (أنا) الأسطر الشعرية المعبر عن شخصية الشاعرة نفسها، تقول في قصيدتها " إلى ولدي رامي "

" إلى رامي ... إلى فانوس أيامي

إلى ولدي ... إلى كبدي إلى سندي

إلى من لست أنساه، إلى أن أسكن لحدي

أأرثيك ... أي يراع جريء

فأدعو الدفاتر ... أدعو المحابر ... أشكو إلى الضاد ذلي

أبوح إلى الصمت صمتي فلا من يجير ذهولي إلا بكاء بريء

وكل الكلام أراه هراء وكل الكلام رديء

ومهما ذكرت صفاتك لحسن صفاتك

أراني إليك أسيء

أحدّث هذا التراب الذي كنت تمشي عليه

وقد كنت كالظبي تأكل لحم المسافات

تركض فوق ثرى الأمنيات"¹⁹

تعبر "عائشة جلاب" عن ألمها ومعاناتها بمشاعر أقوى وإحساس أعمق برحيل ولدها "رامي" الذي هو في حقيقة الأمر ابنها، ونلمس ذلك في تصريحها الوارد في بداية القصيدة، وعليه فعنوان القصيدة يشكل ميثاقا سير ذاتيا تجلت ذات الشاعرة من خلاله، فهي في حالة من الضياع والتهيه، يقول الغدامي: "نسوية الرثاء لن تأتي من كونه فنّا تقوله النساء، وانما تأتيه الصفة من كونه فن المشاعر المكبوتة وصوت الضمير الذاتي وصوت الحزن"²⁰، وهذا يؤكد على مدى ارتباط الحزن

بالمرأة، هذا ينطبق على الشاعرة فأبيات قصيدتها توحى بالحزن العميق لفقدان ابنها، وكم هو مرّ هذا الفراق.

تبحر بنا الشاعرة في الوجد، حيث تقول في قصيدتها التي افتتحت بها ديوانها الموسوم بـ "سفر في عيون بربرية"، وهي عبارة عن إهداء ورثاء لولدها المتوفي:

"ومهما كتبتُ فأنت الحروف وأنت المعاني

وأنت الشهيق بصدري وريقٌ يبل لساني

أبللُ بالذِّكرُ رُوحِي لألقاك في عتبات الجنانِ

فلا الابدئية تطفئُ حُزنا يبدا كيانِي

ولو ألفُ سفرٌ أدون في حُرقتي ما كفاني

وليس يُصبرني غير وعد الإله ببر الأمان²¹

تأثر الشاعرة واضح وبشكل جلي في أبياتها الموحية بالحزن العميق، الذي سكن روحها لفقدان ابنها، لقد أبدعت عائشة في هذه القصيدة الحزينة المشبعة بالرتاء، فلم تعد الحياة تعني لها شيء فعبّرت بلغة حزينة عن حرارة مشاعرها مثل ذلك (الشهيق، صدري، رُوحِي، الجنان، حزن، كيان، حُرقتي، الأمان) تدل هذه المفردات على مدى حرارة الألم الذي خلفه الفراق "فعندما تنسق الذات مع التجربة وتنسجم داخلها، فتتفاعل معها وبذلك يصدر عنها كل الصدق الانفعالي والتوهج العاطفي الذي لن يدع شكاً في وصول صدقها إلى المتلقي"²²، فلا الابدديات تطفئ حُزنها، ولا ألف سفر تدون في حُرقتها الفراق، وما يصبرها غير وعد الإله ببر الأمان، طرحت الشاعرة صورا من الألم والحزن ووجع الفقد بلغتها الخاصة معبرة عن أوجاع ذاتها بعاطفة صادقة وجياشة وصلت إلى ذهن المتلقي، فالإهداء هنا لعب دوراً فعالاً بوصفه عتبة نصية، ترسم للقارئ تصوراً مفاداً خصوصية التجربة في هذه القصيدة، حيث تكشف هذه العتبة عن الطابع السير ذاتي من خلال استحضار الذاكرة، لتستدعي الشاعرة ذكرياتها الحزينة يوم فراق ولدها "رامي".

3-2- الذات الشاعرة المتصوفة:

برزت في شعر "عائشة جلاب" الذات المتصوفة بالمفهوم الروحي المتعالي، مصورة حياتها الروحية وأحوالها الداخلية مترجمة أشواقها، ومن ملامح الصّوفية التي عبرت عنها الذات الشاعرة أو

تلبّستها في كثير من نصوصها الشعرية: المعاني العميقة، والأفكار المعقدة، المعاني النفسية، الغموض، الجنوح إلى الرمزية، التّستر والتّعتيم في الأفكار الغموض، الخيال الخلاق. وقد ظهرت هذه الذات المتصوفة في قصيدة "صلاة على سجاد الشّعر" التي تبدو فيها الذات الشاعرة مكابدة لمعاناة خاصة، أوصلتها إلى هذا النافذة الروحية العالية من التعامل ذاتها ومع الكون والكائنات المحيطة بها تقول الشاعرة:

"صلبت على نخيل الحاقدين كما صلبت ملايين النهود
أنا العنقاء ثرت من الرماد رماد الجهل غطى كل بيدي
ومن هذا الرماد نسجت جسرا لأعبر منه بوصلي شرودي
فمنكم من يقول اما اكتفيت فأصرخ: ويلكم هل من مزيد
فقد وأدوا غناي برمل حقد من الأجداد حتى الحفيدي
هو الصلوات لست أمل منها يردد في الركوع وفي السجود
هو الأنفاس لن أحيا بدونه هو الإحياء ينضح في وريدي
هو الدمعات إن جحد الزمان هو البسمات في شفة الورودي"²³

تصور الشاعرة ذاتها وهي مصلوبة على نخيل الحاقدين، كما صُلبت الكثير من النساء اللواتي سُلِبَتْ ذواتهن، ليتزعم ضمير المتكلم (أنا) هذه الأسطر الشعريّة فيحيل على شخصية شاعرتنا، فتشبهه نفسها بالعنقاء الثائرة التي تحولت بفعل جهل الجاهلين إلى اعتلاء الجسد بكل آلامه وجراحه لتعبر عن وعيها بكينونته، تنتقل الذات في هذه القصيدة إلى التصوف باحثة من خلاله عن ذاتها فتعيش عوالم روحية صافية عن طريق استحضار رموز دينية ذات طابع روحي وتصويرها بطريقة رمزية، فكان لجؤها إلى الرمز ضرورة لقرّبها من حسن عرض المشاعر والأحاسيس وتصويرها والتعبير عنها، ومن هذه الرموز: (صُلبتُ، ويلّ، الصلوات، السجود، الركوع...) كل هذه الرموز الدينية تعاملت معها الذات الشاعرة تعاملًا روحياً خاصاً اتصف بالغموض، مما أشاع فيه الجو الصوفي الذي يستدعي قدرًا من التأويل اعتمادًا على تلك الإشارات التصويرية ذات الطابع الرمزي.

وتمضي "عائشة جلاب" في تصوير الجوانب الروحية والأحاسيس الداخلية للذات المتصوفة، وما تحمله من وجدانيات خاصة تجاه الأحداث التي تعيشها، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال قصيدة "كعبة الميعين" التي تقول فيها:

"إذا رُمّت حُلما فقل للقدّر

سأسهر حتى ينام القمر

ومادام في القلب نبضه حبّ

سأبني على السّحب ألف ممرّ

وأشدّو مع الطّير سرّ الأغاني

وأعصر من مقلّي العبر

وأنسج من خيط حلمي دروباً

وأسقي بروحي عطاشي الزهر

أتبل بالصبر أيام قهري

على النار أمشي ولن أستعز²⁴

تصف الشاعرة في قصيدتها الكثير من الرمزية والإيحاء الروحي، حيث تبدو الذات الشاعرة المتصوفة حاملة لطابع وجداني يعلو بالروح جراء العشق إلى مصاف التصوف الروحي وما يحمله من شغافية، تشرط على من يرغب أو يشتهي حلما معينا أن يقل للقدّر أنه سيسهر حتى ينام القمر، وستبني ألف ممر على السّحب مادام في قلبها نبضة حبّ، تركز الشاعرة على الأحاسيس الداخلية النابعة من أعماق الوجدان والروح متمسكة بروح الأمل، تعكس تسامي الروح العاشقة في لحظات تصوفية تجرّدت فيها من الواقع، كما أدركت بحسّها أن الطبيعة زاخرة بالحياة والجدّة الباعثة على الدهشة الأنثوية، فتصويرها للطبيعة كان مجرد انعكاس لحالتها الشعورية، التي تعيشها الشاعرة في لحظة من لحظات العشق، والحب، والفرح، فالتبيعة بشّى صورها تمثل أداة أخرى من أدوات الأنثى تركز إلى سكوتها، فهي تشدو مع الطير سرّ الأغاني، وتعصر من عينيها العبر، وتنسج من خيط حلمها دروبا، وتسقي بروحها عطاشي الزهر، وتتبل بالصبر أيام القهر، وتمشي على النار ولا تحترق؛ لجأت الشاعرة إلى لغة الرّمز للإيحاء بما تشعر به وبما تراه

متجنبة التصريح مثل هذا التصوير الطاغوي على القصيدة ليحقق الهدف الصوفي التي تلبّسته الذات الشاعرة، ولا سيما أن النص مروي بضمير المتكلم.

3-3- الذات الشاعرة المتمردة :

إن ظاهرة التمرد في كنهها شعور نفسي تفرضه ظروف داخلية أو خارجية على الذات الإنسانية وقد أصبحت هذه الظاهرة جلية في الشعر النسوي الجزائري المعاصر، فالتمرد يقوم على مناقضة الواقع والخروج على قوانين المجتمع والنظام العام، وعدم الاعتراف بسلطان أي سلطة فهو "محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي"²⁵، فالتمرد لا ينحصر في الدعوة إلى التغيير فحسب؛ وإنما هو تعبير عن حالة وجودية تلتبس من خلالها الشاعرة الرغبة في تحرر الذات من قيود الجماعة، فتمردها الشعري لا يتخذ شكلا واحدا فقد تتمرد الذات الشاعرة اجتماعيا، أو نفسيا، أو سياسيا، أو فنيا، كما قد تتمرد على ذاتها، وذلك بهدف إحداث تحوّل جذري في المحيط الذي تعيش فيه، ويمكن الإشارة هنا إلى أن موضوع التمرد تشكّل وفقا للضغوطات التي تواترت في المجتمع الجزائري، والقيود التي تمارس ضد المرأة وبما أن الذات تميل إلى الحرية، تولد الكبت الذي شكل هذا الموضوع، "ف فعل الكتابة لدى النساء يشير بوضوح إلى عملية التحرر، نظرا لارتباطه بالوعي والتجربة والمعاناة والتصورات والأحلام التي غطّاها الكبت والخفاء"²⁶، فكانت كتابة الذات هي التحرر من هموم أنقّلت المرأة فتحدثت الصّعب، والوجود، واخترقت الممنوع، وهذا ما يتجلى واضحا في قصيدة "أنا حرة" حيث تقول:

"أنا حرة

ولن أشرح...

لأني لست مضطرة

ولست أخاف أن تسمح ... أو أنك لم تعد تسمح

وسوف أدكّ شبّاكي وجدراي

لتدخل شمس نسياني

فتغسل كل معنى الخوف من روحي ووجداني

لينمو غصن ألحاني

يمد الظل للأقمار للآتي

يمدّ النور والنوار للأجيال للأطيار للشمس

وينسج ثوب أحلامي

بخطان من الإكبار والعز

ولن أخفي هوياتي وراء اللفظ والرمز²⁷

لم تستطع الشاعرة كإنسانة وأنتى أن توقف مستويات البوح الذاتي في قصيدتها، رافضة لأحكام الذكورة ضمن سياقات اجتماعية طالما سعت إلى رفضها، فهي حرة وليست مضطرة لأن تشرح حريتها معلنة ذلك دون خوف، تولد القصيدة عندها من رغبة أنثوية جامحة في التحرر والاعتناق، إنَّ خطابها هو محاولة جادة لرفع شأن المرأة التي وضعت في زاوية ضيقة من الوجود، فهي تؤسس في خطابها الأدبي لحرية اجتماعية جديدة، فهي لا تخفي هويتها وراء اللفظ والرمز، وهنا يتجسد فعل التصريح والمكاشفة عند الذات الشاعرة المتمردة طالبا للحرية في البوح دون قناع محاولة تتجاوز ضعف أنوثتها، والاضطهاد الممارس في حقها فتتجرا على إعلان حريتها وتخرج من صمتها، وتمضي الذات الشاعرة مع التمرد، تصارع الخطوات المكبوتة وتصف حريتها معلنة بإبداعها عن صمودها وقوتها لتجعل من نصها مغامرة لإعلان وجودها، حين تقول في قصيدة "مدخل إلى رئتي":

" إلى من يلعقون دمي

إلى من يجمعون فمي

أقول لهم...

سأخرج من محاجركم

وأولد من مقابركم

كأي جُحٍّ في الظلم

سأخرج كفي البيضاء

لتلقف كل ما أفكوا²⁸

ها هي الذات الشاعرة المتمردة تعبر عما بداخلها أخذت من عالم الكتابة لتبوح بواقعها وتثبت ذاتها وتحررها، جاءت صرخة الذات الشاعرة ضد واقع الظلم والقمع والحصار الذي تعيشه معلنة ميلادها من قبورهم، وتُخرج يدها البيضاء لتلقف كل ما أفكوا.

ويعمضي نص "عائشة جلاب" مع أسئلة التمرد، وتعبر إلى التواصل مع منابع الحياة، ومجدداتها عبر الكتابة من منطلق الكشف والبحث عن الرؤيا، رافضة لسلطة الآخر حيث تقول:

"أعلمهم نبوءات الضيا بدمي

فذا قلّمي أهشّ به على حلمي

من النكبات والآهات والألم

وعن ليلي وعن نومي

وعن أشعاري الخرساء

وعن أيام الأقسى

التي تخشى

أكفأ تحمل الفأسا

فهذي فرحتي الأولى

أهدهد مهدها الدافئ

وأحمل همها عُمرا

على أكتاف أكتافي

لأمضي للعلا، للشهب، للقمم

فعمري ذاب في القرطاس والقلم"²⁹

في علاقتها بالآخر صوّرت الذات الشاعرة المتمردة معاناتها والهيمنة غير عادلة للآخر، فتعش بقلمها على حلمها من النكبات والآهات والألم، وعن ليلها ويومها الصمت وأشعارها العاجزة عن الكلام، تتخذ خطوة جريئة نحو سماء الحرية وتخرج من دائرة الصمت مختربة الخوف معلنة فرحتها الأولى فتحرك مهدها الدافئ وتحمل همها ماضية نحو العلا والشهب والقمم؛ نما وعيها الكتابي فحررت قلمها من خناق المجتمع، وكتبت بإبداع فني رصدت به ذاتها، وكيونيتها الوجودية كتابة وتصويرا.

تتمرد الذات الشاعرة على الشرط الاجتماعي؛ إذ أصبحت تفكر بصوت مسموع وتبوح بتجربتها العاطفية، وأسقطت بذلك رداء الخجل عن ذاتها، وانتقلت بوعيها إلى دائرة ثقافية

جديدة فهي تعلن بصورة تقريرية مباشرة تجربتها في الحب وهذا ما يؤكد قول الشاعرة: في قصيدة:
" كن معي "

" كن معي في كل شيء

وكأنا قطرتين من ندى

جمعتنا كفّ نيسان صباحا... فوق زهر يتوضأ بالندى

أو كأنا طائران اجتماعا وسط المدى

وللحن واحد قد غردا

فنمت حولها دنيا من العشق، وأسراب من النجم الضحوك

فغدا البدر لدينا مرقدنا

يرتمي الليل بحضنينا كطفل حين يضحى بمجهدا

وللمنا ارتدى

حينها قد حكّت هذا الليل شالا فوق كتفي أسودا

فلنكن دوما معا "30

نلمس في هذا المقطع الشعري إعلان الشاعرة تمردا على قائمة الممنوعات بأن تحلم،
وتحب، وتشهر حبّها، وتتغزل بمحبوبها، وتسجل تجاربها الحسية، والجسدية وتعلن رغباتها، وتوقعها
الطبيعي للالتقاء بالرجل فتكتمل دورة الحياة ويتواصل سر البقاء، تنشد من حبيبها أن يكون معها
في كل شيء، ويظهر الزمن باعنا صورة اللقاء الحالم المعبّق بالحنين، يتصاعد نحو الحاضر موحيا
بدرامية المشهد، ليرسم لنا صورة جمالية مائعة تظهر حميمية الجو الرومانسي ودفأه. اتسمت الذات
الشاعرة بالجرأة الاستثنائية، ومرد ذلك أنها غادرت محيطها الأنثوي الضيق مما منحها قدرا كبيرا
على القول والمكاشفة، ومنحها جرعة شجاعة اضافية في أن تقول ذاتها وتعبر عن أحاسيسها.

4. خاتمة:

بعد هذه الدراسة التي استقرأنا فيها شعر " عائشة جلاب " لابدّ لنا من وقفة نجمل فيها
النتائج التي جمعتها الدراسة وتلخص في ما يأتي:

- تمظهرت الذات الشاعرة في شعر " عائشة جلاب " بأشكال وأنماط مختلفة

أبرزها: الذات الحزينة، والذات المتصوفة، والذات المتمردة.

- يُعدُّ الموت أهم مظهر تجلّت فيه حزن الشاعرة، وعبرّت عنه من خلال أشعارها، فتحدثت عنه -الموت- بنغمة حزينة قانطة.
- يعتبر تمرد الذات الشاعرة ثورة على المحيط بما من الموجودات الاجتماعية التي لم تشعر بوجودها ككائننا مستقلا. وكانت هذه الثورة محملة بالكثير من مشاعر الأمل والانشرح .
- برزت الذات المتصوفة بروّاً موضوعاتياً وفنياً، إذ تنوع التصوف الذاتي بين تصوف عشقي وآخر روحي. ويعكس هذا البروز العوالم الروحية الداخلية للذات الشاعرة.
- تمظهر الضمير المتكلم (أنا) ، أحياناً على شخصية الشاعرة داخل المتن الشعري
- إنّ خطاب الشاعرة عبارة عن مواجهات مع الواقع الاجتماعي، لتعطي تصوراً لواقع سلطوي جمعي تبدأ سلطته من النسق الأسري إلى سلطة مجتمع
- تفعيل الذات الشاعرة وامتطاء سهوة المتغير، ونبذ الثابت الذي طالما أرهق الكتابة حين خصّ الذكورة بالتفرد اللفظي صياغة وتشكيلا
- عملت الشاعرة "عائشة جلاب" كسر جدلية الصراع الثقافي الكامن في المحمولات المتراكمة منذ القلم، وعلى إعلاء الذات وتضخيم الأنا الأنثوية.
- نظرة الشاعرة إلى ذاتها، هي نظرة تُظهر اعتزازها بنفسها، تطرح وراءها كل ما يقلل من شأنها وترفع من قدرها رغم كل المثبطات الخارجية .
- شكلت الشاعرة لنفسها معجماً ذا مفردات أنثوية خاصة، بعضها مما لا يستعمله الرجل على نطاق واسع، وإن استعملها فبدلالات مغايرة لما هي عليه عند المرأة.

هوامش:

1 - إبراهيم مصطفى، وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة: مصر، ط 3، 1989، ص 307

2 - الحموي، وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة (ذات)، بيروت ، لبنان : دار المشرق،(د.ط)، (د.ت)، ص 516

- 3 - ابن منظور أبو الفضل: لسان العرب، مادة (ذات)، المجلد 6، دار صادر: بيروت، ط1، 1997، ص 456
- 4 - أبو البقاء أيوب موسى، المعجم الفلسفي. القاهرة، مصر، دار غيدا الحديثة، (د.ط)، 2007، ص374
- 5 - لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر: بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 118
- 6 - خير الله سيد: مفهوم الذات أسسه النظرية والتطبيقية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، (د.ط)، 1981، ص 18
- 7 - حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات و إشكاليات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 24
- 8 - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط3، 1989، ص 51
- 9 - أمال النخيلي: الذات الراهية في شعر الزهد، ديوان ابو العتاهية أتمودج، دار الفرق، سورية، دمشق، ط1، 2011، ص 16
- 10 - عبد الله محمد الغدامي: المرأة واللغة، ط1، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء المغرب بيروت، لبنان، 2006، ص8
- 11 - الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث: أريد، الاردن، ط1، 2011، ص13
- 12 - الأخضر بن السايح: المرجع نفسه، ص 68
- 13 - نهاد مسعي: النصّ التسوي: خلخلة التسقي...مركزية الأنثوي، مجلة مركز بابل للدراسات الأدبية، المجلد 8، العدد 3، 2018، ص242
- 14 - محمد الهادي المطوي: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريق، مجلة عالم الفكر، العدد 457، سبتمبر 1999، ص 457
- 15 - عبد الحق، بلعابد، عتبات جزار جينات من النص إلى المناس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص56
- 16 - مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة: القاهرة، ط 8، 2008، ص848
- 17 - عبد العزيز كوكاس: اللعب في مملكة السلطان في امتداح النص، منشورات البهلول 2، الرباط، ط 1، 2013، ص9
- 18 - جلاب، عائشة: شذرات من ذاتي، نوميديا للطباعة للنشر والتوزيع: قسنطينة، الجزائر، (د.ط)، 2014، ص12

- 19 - جلاب عائشة: المرجع السابق، ص 93
- 20 - عبد الله محمد الغدامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط 2، 2005، ص 53
- 21 - جلاب عائشة: سفر في عيون بربرية، يسطرون للطباعة والنشر: الجيزة، ط 1، 2019، ص 3
- 22 - خليف مي يوسف: الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 94
- 23 - جلاب عائشة: شذرات من ذاتي، ص 85
- 24 - جلاب عائشة: المرجع السابق، ص 44
- 25 - عبد الله محمد الغدامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي: بيروت الدار البيضاء، ط 2، 2005، ص ص 53-54
- 26 - إدريس عبد النور: النقد الجندري تمثالات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاء للنشر والتوزيع: عمان، ط 1، 2013، ص 24
- 27 - جلاب عائشة: شذرات من ذاتي، ص 75
- 28 - المرجع نفسه، ص 7
- 29 - جلاب عائشة: شذرات من ذاتي، ص ص 8-9
- 30 - المرجع السابق، ص 34